مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 05 العدد03 جوان 2022 من ص: 346ـ360
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

الدور الحضاري للمرأة في المغرب الوسيط

العهد الرستمي أنموذجا

The civilized role of women in the central Maghreb AL – Rustami era as model

شرقي نوارة[1]♦ ملياني زينب[2]

جامعة ابن خلدون تيارت [1]nourahis04@gmail.com

جامعة زيان عاشور الجلفة [2]mzineb017@gmailcom

تاريخ الإرسال: 2022/02/13	تاريخ القبول: 2022/06/01	تاريخ النشر: 2022/06/15

الملخص باللغة العربية:

قال تعالى:﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ سورة النحل (58-59) ان في هذه الآية دلالة واضحة على وضعية ومكانة المرأة قبل الإسلام. وهذا الازدراء والنظرة الدونية ليست لصيقة بأمة أو بشعب معين فقداشتركت فيها كل الأمم والشعوب السابقة. إلى أن جاء الإسلام وأنصف المرأة. فأعطاها الكثير من الحقوقالتي جعلت منها نصف المجتمع فعلا. وتلك المكانة مكنتها من ترك بصمتها في جل الميادين وذلك في دول المشرق الإسلامي كما في الدول التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي والذي أعطت فيه الدولة الرستمية أرقى النماذج والأمثلة عن الدور الايجابي الذي لعبته النساء في المجتمع الرستمي فوجدنا العلامة المتبحرة كغزالة وغيرها والسياسية المحنكة كزوجة أبي قاسم الوسياني والزوجة والأم التي تسير أسرتها وتعمل على أن توفر لها كل مستلزماتها.

هذه الصورة الراقية والمتفردة التي أوصلتها الينا المصادر التاريخية عن المرأة الرستمية هل كان سببها نبوغ النساء ببلاد المغرب. أم اهتمام أولي الأمر وخاصة الأئمة الرستميين بأمور المرأة وقضاياها وتطبيقهم لأحكام الشريعة الإسلامية أم أن ذلك النبوغ والعطاء كان نتاج الأمرين معا.

♦ المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: المرأة، المغرب الأوسط، الدولة الرستمية، الحضارة، العلم، الدور السياسي، المذهب الإباضي.

Abstract: The Almighty said: "And when one of them receives news of a female, his face darkens, and he chokes with grief. He hides from the people because of the bad news he was given. Should he keep her in disgrace, or bury her in the dust? Evil is the decision they make." Surah An-Nahl (58-59). In this verse, there is a clear indication of the status and position of women before Islam. This inferiority is not attached to a particular nation, all previous nations and peoples had the same view. Until Islam came and treated women fairly. He gave her a lot of rights that made her half of society. And this new treatments has make her enable to leave its mark in most of the fields and in The Islamic Middle East countries, as in the countries that were established in the Islamic Maghreb, and in which the Rustumid state gave the finest. examples of the positive role that women played in the Rustumid society, We found the embossed mark like a gazelle and others, and deceived politics like the wife of Abu Qassem Al-Wasiani, the wife and mother who runs her family and works to ensure that it provides all her necessities.

This high-end and unique picture that the historical sources brought to us about the Rustumid woman, was it caused by womens genius in the Maghreb? Or the concern of those in authority, especially the Rustamd imams, in the affairs and issues of women and their application of Islamic rulings?, or was that genius and giving the result of both things together.

Keywords: women, central maghreb, AL-Rustamite state ,civilation, science, politacal role, Ibadi doctrine

مقدمة: كرّم ديننا الحنيف المرأة ورفع من مكانتها وحفظ لها حقوقها، وقد أثبتت المرأة بالمغرب الإسلامي قدرتها على طَرْقِ عدة مجالات من الحياة كانت حكرا على الرجل فأثبتت جدارتها في بعضها، ونالت المرأة بالمجتمع المغربي مكانة رفيعة سواء المرأة الأرستقراطية أو غيرها من نساء الطبق العامة وذلك من خلال درجة تأثيرها ومساهمتها فيه، وقضية المرأة تعد من المواضيع المهمة والحيوية التي أصبحت تحظى باهتمام الباحثين، ولا يمكن لنا أن نغفل عن أهميتها ودورها في الحياة إذ أن الدراسات الحديثة تعتبر مساهمة المرأة ومشاركتها الفعّالة في ميادين الحياة بالمجتمع مؤشرا على

تقدمه، فإذا كانت المرأة تعي جيدا مكانتها في المجتمع وتجتهد في أداء واجباتها مع حرصها على ممارستها لحقوقها المشروعة ستؤثر إيجابا على حركية الحياة، والمرأة الإباضية من بين النماذج التي تعكس ذلك. فهل كانت مشاركتها السياسية فعّالة في الدولة الرستمية؟ وهل استطاعت أداء واجباتها في المجتمع الرستمي وحصلت على حقوقها فيه؟ فيما تمثل إسهامها في الميدانين العلمي والاقتصادي؟ هي مجموعة من التساؤلات التي تُشكّل الإجابة عليها تثمينا لدور المرأة الإباضية واعترافا بمجهوداتها التي خدمت المجتمع الرستمي الإباضي آنذاك.

1-الدور السياسي للمرأة على العهد الرستمي :

إن المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط عامة لم تستطع التخلص من الموروث المتأصل فيها والذي يرى أن المرأة أقل شأنا من الرجل، ولاستطيع العيش إلا بوصايته وجل الحضارات القديمة لم تعترف أصلا بإنسانية المرأة(1). إذ كان العرب يقتلون الكثير منهن يوم ولادتهن وقال تعالى في ذلك:﴿ وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾(2)، وحصل إجماع على أنها لا تصلح إلا لدوام النسل وتدبير المنزل(3)، أما في شمال إفريقيا التي سيطلق عليها بعد الفتوحات الإسلامية بلاد المغرب الإسلامي فقد احتلت المرأة مكانة هامة في مجتمعها البربري وشاركت في مجلس القبيلة وكانت لها كلمتها فيه(4)، حتى أن الرجل يتسمى باسم أمه أو جدته وهذا إن دلّ على شيء فيدل على مكانة المرأة في المجتمع المغربي.(5)

رغم تعاظم دور المرأة في كثير من جوانب الحياة فإن جل المصادر أغفلت قصدا أو دون قصد رصد دورها السياسي بشكل واضح ولم تكشف عن مدى مشاركة النساء للرجال في أمور الدولة(6)، ففي العهد الرستمي بلغت المرأة مكانة مرموقة.إذ تدخلت في

1عصمت الدين كركر حرم الهيلة:المرأة من خلال الآيات القرآنية، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د ط، ص33

2سورة التكوير الآية08

3عبد العزيز بن عبد الله:المرأة المراكشية في الحقل الفكري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، مج6، ع1-2، 1956م، ص259

4حسن أحمد محمود:قيام دولة المرابطين، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م، ص65

5 5عرف أحد أحفاد الإمام عبد الرحمان بن رستم باسم أمه وهو الأمير المدراري الشهير بابن أروى بنت عبد الرحمان بن رستم، انظر ابن عذارى:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج س كولان، إ ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت ط، ص.157

6 6عماد المرزوق:مكانة المرأة في التراث السياسي بالغرب الإسلامي وبعض مظاهر الإبداع النسائي خلال الحقبتين المرابطية والموحدية، المرأة في الغرب الإسلامي الصفحات المشرقة والتحديات

الشؤون العامة(7)، وشاركت في نشر الدعوة الإباضية خاصة في جبل نفوسة بإقليم طرابلس قبل قيام الدولة الرستمية. وكانت جنبا إلى جنب مع الرجل في كل الأمور(8) ، وكثيرا ما كانت بيوتهن مقرا سريا للدعوة الإباضية لأن زعماء الإباضية اعتمدوا على السرية في دعوتهم وتنظيمهم9 ومن بين هؤلاء نذكر هند بنت المهلب،وعاتكة بنت أبي صفرة(10)، وأم الربيع الوروية التي كان بيتها مأوى للدعوة كما بذلت أموالها لنشر الدعوة وغيرهن كثير.(11)

وكان للمرأة الرستمية الحق في إبداء رأيها في أمور السياسة فهاهي المصادر تخبرنا عن عجوز لم يذكر حتى اسمها غير انها غرفت يالعلم والادب وسداد الراي والتي اشارت على عبد الحميد الجناوي يقبول منصب عامل للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم على جبل نفوسة واستشيرت عجوز أخرى في امر تولية منصب القضاء من هو أولى به

وذكرت المصادر زوجة أبي يوسف حجاج بن فندين الذي اشترك في مؤامرة دبرها مع رئيس فرقة الخليفة خلف بن السمح بن أبي الخطاب للخروج على طاعة الإمام عبد الوهاب بن عبد الله،ولما دخل أبو يوسف بيته صاحت فيه غاضبة على فعله المشين بعدما علمت بخبره قائلة:"إليك عني يا بائع دينك".(12)

كما لا نغفل عن إقحامها في الأمور السياسية وذلك عن طريق المصاهرات التي كانت آنذاك وأشهرها زواج مدرار بن المنتصر بن اليسع (208ه/823م) من أروى بنت عبد

المحدقة والأسئلة العالقة ، تنسيق وتقديم عبد الباسط المستعين، منشوراتإفريقيا الشرق، 2016م، ص.253

7نبيلة عبد الشكور: المرأة في الاسطوغرافيا الإباضية، محلة التراث، مخبر دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، ع12، سنة 2014م، ص96

88ابراهيم بحاز :الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، الغرارة، الجزائر، ط2، 2009م، ص96.

9حنان محمد علي عاشور:دورالمرأة في المجتمع الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة المرقب، ليبيا، السنة الدراسية2007-2008م، ص.35

1010أبي العباس أحمد بن سعيدالدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت ط، ص210، .255

11المقرين بن محمد البغطوري:سيرة مشائخ نفوسة، تح توفيق عباد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2009م، ص42

1211الشماخي احمد بن سعيد بن عبد الواحد: كتاب السيّر، تح احمد بن سعود السيابي، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2 ، 1992م، ص184.

الرحمان بن رستم، وكان هذا الزواج سببا في انقطاع الحروب بينهما(13)، فقد سعى اليسع من وراء هذا الزواج إلى كسب حليف قوي يحميه ويسانده، أما عبد الرحمان بن رستم فغايته كسب ود الخوارج الصفرية اللذين كانوا كثر بالمنطقة(14)، وقد أثمر هذا الزواج ولدا اسمه ميمون(15) والذي لعب دورا كبيرا في دولة بني مدرار، إذ تولى أمور الخوارج الصفرية سنة208هـ/823م، وتلقب بالمنتصر فطالت ولايته(16)، وكانت العلاقات بين الدولتين قوية وهو ما سهل دخول المذهب الإباضي إلى سجلماسة .(17)

وعند الحديث عن المصاهرات لا ننسى تلك التي كانت بين الامام أبو بكر وابن عرفة فأبو بكر كما يقول ابن الصغير تزوج من اخت او ينت ابن عرفة وبعدها أصبحت الامارة لابي يكر بالاسم وفي الحقيقة كانت السلطة بيد ابن عرفة (18)، وتسجل لنا مصنفات المؤرخين عن دور المرأة في اختيار ولي العهد، فهذه غزالة زوجة الإمام أبي اليقظان تمكنت من التأثير على زوجها وجعلت ولاية العهد في ابنها(19)، كما تدخلت في أمور السياسة وهذا ما يوضحه كلام يوجهه إليها الإمام أبو اليقظان محذرا إياها بقوله:"احذري يا غزالة فقد أصبح ابنك باغيا".(20)

وتخبرنا المصادر الإباضية عن امرأة من البيت الرستمي كانت سببا في تسريع سقوط دولة الرستميين، وهي دوسر ابنة الإمام أبي حاتم يوسف بن اليقظان(218-294هـ/م) والذي قتل على يد أبناء أخيه(21)، وهذا الأمر الذي أغاضها وجعلها ناقمة على بني عمومتها، وتُقدِم على طلب العون من الداعية الشيعي أبو عبد الله ممنية إياه بالزواج

13سليمان باشا الباروني:الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، لندن، ط1، 2005م، ص146

13 14محمد عيسى الحريري:الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس160هـ-296هـ، دار القلم ، الكويت، ط3، 1987م، ص.205

15ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص157

16سليمان باشا الباروني، المصدر السابق، ص147

17محمد عيسى الحريري:الدولة الرستمية، ص208

18وداد القاضي:ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، محلة الأصالة، ع45، محرم1395هـ/ماي1977م، ص ص43، 44، 45

17 19ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر، إبراهيم بحاز، د ط، د ت ط، ص.62

20الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص94

19 21سامية مقري:التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزّابة 296-409هـ909-1018م، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، السنة الدراسية2005-5006م، ص.17

في حال أخذ بثأر والدها ممن قتلوه(22)وبالفعل كان لها ذلك، غير أن المصادر تذكر أن دوسر لم تف بوعدها، فعندما علمت بأن أبو عبد الله الشيعي قتل قتلة والدها هربت رفقة عمها إلى وارجلان حتى لا تتزوج منه(23)، وتذهب إحدى الباحثات هنا إلى القول بأن إصرار أبي عبد الله الشيعي في البحث عن دوسر كان لأنه أحبها، ويبدو أن الباحثة قد جانبت الصواب في هذا لأن المعطيات التي أمدتنا بها المصادر تفيد بأن دوسر هي من راسلت الداعية أبي عبد الله الشيعي ورغبته في نفسها مقابل أن يأخذ بثأر أبيها، وربما يعود إصراره في البحث عنها لإجبارها على تنفيذ ما وعدته به خاصة وأنه قد قام بقتل قاتلي والدها وشفى غليلها منهم.

2- دورها في المجتمع الرستمي:

اختلفت وضعية المرأة من مجتمع إسلامي إلى آخر فمن تحرر تحكمه أعراف وتقاليد من آلاف السنين عمل الدين الإسلامي على تهذيبها (24)لأنه لم يستطع القضاء عليها لترسخها، ولأن المرأة خلقت لتكون نصف المجتمع الإنساني ومردّ تكوينه فقد اختلف الناس في قيمتها الإنسانية وتحديد مكانتها الاجتماعية، كما اضطربت طرائقهم في معاملتها وتباينت مذاهبهم في بيان مالها من واجبات وما عليها من حقوق، ومن بين هذه المجتمعات نذكر المجتمع الرستمي الذي اجتهد في إعطاء المرأة حقوقها التي كفلها لها الشرع وإلزامه إياها بأداء واجباتها (25)في مجتمع علاقته بالعرف وثيقة.

ولأن الله سبحانه وتعالى ميّز المرأة بقدرتها الطبيعية على رعاية الآخرين والشعور بهم، هذا جعلها تتحمل مسؤولية من حولها(26)، ويقول عبد الرحمان بكلي في بيان دور المرأة ووظيفتها"الأم معمل إلهي لإنتاج الجنس البشري والمحافظة على نوعه وفي أحضانها ينشأ الجيل،فوظيفتها أخطر وأغنى إنتاجا يقوم به مخلوق في الأمة"(27)، والمجتمع الرستمي الإباضي أدرك أهمية المرأة فأعطاها الكثير من الحقوق ويأتي على رأسها أنها لا تكره على الزواج ممن لا ترضاه لنفسها، خاصة نساء بيت الإمامة، كما كان يحق لها أن

22الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص94

23نفسه .

24عصمت عبد اللطيف دندش:المرأة بين التراث والمعاصرة، قضايا وبحوث، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2009م، ص7

25منصور عبد الحفيظ:الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الإمارة الرستمية، ص99، .100

25 26عبد الرحمان بشر:المرأة المغربية في نوازل أبي القاسم البرزلي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2015م، ص

26 27قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج:معالم النهضة الإباضيةه1157-1744م1382هـ-1962م، نشر جمعية التراث بغرداية، الجزائر، ط1، 2011م، ص.550

تقيد شروطها في عقد الزواج وهو ما يحفظ حقوقها ويحول دون ظلم الرجل لها(28)، وبالنسبة للزواج فجل الإشارات تؤكد على أنه كان بين أفراد القبيلة البربرية الواحدة، ولا نجد زواج خارج القبيلة ما عدا الزواج لأغراض أو مصالح سياسية أو اقتصادية.(29)

فقد كان الرستميون يتحفظون من المصاهرة خارج نطاق القبيلة الواحدة غير أن بعض الأئمة الرستميين صاهروا بعض رؤساء القبائل البربرية مثل: الإمام عبد الرحمان بن رستم الذي تزوج من قبيلة بني يفرن الزناتية التي أيدته وساندته طوال مدة حكمه(30)، كما ساعدت قبيلة بني يفرن الزناتية ابنه عبد الوهاب في تولي الإمامة من بعده (سنة 190هـ /805م)، إذ كان عبد الوهاب صهر زعيمها جارون بن القمري الزناتي الذي اتخذ منه سندا وحليفا.(31)

عمد أئمة الدولة الرستمية على مصاهرة الأسر الثرية والشخصيات البارزة في المجتمع الرستمي ذات الجاه والنفوذ، والرجل هو من يقصد بيت المرأة بغرض خطبتها، بيد أن هذه القاعدة لا تطبق على كبار رجال الدولة فحين عزم الإمام عبد الوهاب على خطبة بنت لواتية أرسل إلى والدها فأحضره وأجلسه عنده وخطب إليه ابنته فزوجه إياها.(32)

ولا يمكن أن نغفل عن دور المرأة في أسرتها فالأم هي الموجه الأول لأولادها والمشرف على تربيتهم، وحسبنا عبد الرحمان بن رستم الذي تلقى علومه الأولى ومبادئ الدين الإسلامي على يد أمه وزوجها(33)، فأعطت بذلك المرأة الرستمية مثالا للتقوى والصلاح والثقافة العلمية. وعلى مستوى القبيلة كانت المرأة تتمتع بحرية وصلاحيات

28ينظر كتب النوازل وعلى رأسها المعيار للونشريسي ونوازل البرزلي التي تحدثت عن هذه الشروط بإسهاب .

29عبد الحفيظ منصور: المرجع السابق، ص100-101، ونلاحظ أن المجتمع الإباضي في الجزائر لا يزال محافظا على هذه العادة إلى يومنا هذا، إذ نجد أن الإباضي لا يتزوج إلّا إباضية إلا فيما ندر والعكس صحيح.

30محمد بوركبة: الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية160-296هـ 777-909م، دار الكفاية، الجزائر، ص311

31عبد الكريم جودت يوسف:العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص63

32ابن الصغير:المصدر السابق، ص331

33الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص70

واسعة، إذ تستشار في قضايا القبيلة كتنظيم الرحيل واختيار الزمان والمكان لنصب الخيام.(34)

وبالرغم من تدين المرأة الرستمية والتزامها إلا أنها لم تهمل نفسها، حالها حال النساء عبر العصور، فنجدها استعملت الحلي الفضية والذهبية من أقراط وخواتم وخلاخيل وغيرها(35)، وتعطرت بأجود أنواع الطيب واستعملت الحناء والكحل(36)، أما لباسها فقد غلبت عليه الحشمة، والاختلاف بين لبس نساء العامة والنسوة في الأسر الميسورة كان باختلاف نوع القماش بين الفاخر والعادي، واهتم الرستميون بلباس جواريهم أيضا وهذا ما يؤكده أحد الباحثين في قوله: اهتم الرستميون بتوفير الملابس الرفيعة لجواريهم حتى عد ذلك من مظاهر الغنى والترف ويذهب إلى وصفهن بالبدور(37)، وإذا كان هذا حال الجواري فكيف كان حال المرأة في الأسر الثرية.

ويبدو أن المجتمع الرستمي قد أنصف المرأة إلى حد بعيد وهذا ما جعل جارية اختطفت ابنتها من قبل أحد وجهاء الدولة الرستمية تتجرأ وتشكوه إلى القاضي الذي عمل بكل ما يملك من صلاحيات على إعادة البنت إلى أمها.(38)

3- الإسهام العلمي للمرأة على العهد الرستمي:

يدّعي المستشرقون ومن بينهم خوليان ربيرا أن العصر الإسلامي عرف تقصيرا في تعليم المرأة ولم يحترم رغبتها في التحصيل العلمي، ويُرجع السبب في ذلك إلى المحدثين ورجال الدين المشارقة خاصة(39)، غير أن الواقع كان غير ذلك لأن الإسلام حض على تعليم المرأة ودعا إلى حسن تربيتها وتأديبها حرة كانت أو أمة، فهاهو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: «ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها

34 golvin lucien :le Maghreb central a l'epoque de zirides, paris,1957,p178.

35 فطيمة مطهري:مدينة تيهرت الرستمية-دراسة تاريخية حضاريةق2-3هـ8-9م، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية2009-2010م، ص147.

36 جودت عبد الكريم:الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت ط، ص34.

37 خالد حسين محمود:الرقيق والحياة الاجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص ص 204 ، 205.

38 وداد القاضي: المرجع السابق، ص 47.

39 راوية عبد الحميد شافع:المرأة في المجتمع الأندلسي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2005م، ص12.

وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله آجران"(40)، كما أن التعليم في العصر الوسيط عد أهم الركائز الأساسية التي عولت عليها السلطة في العالم الإسلامي عامة وعند الإباضية خاصة، فقد كان الأئمة الرستميين من أبرز العلماء في تلك الفترة ،فمن شروط الإمامة أن يكون الإمام المبايع عالما متبحرا، وحسبنا الإمام عبد الرحمان بن رستم الذي كان من حملة العلم بالبصرة(41)، وبفضلهم أضحت تيهرت من أبرز الحواضر العلمية بالغرب الإسلامي حتى أنها باتت منافسة لحاضرة العلم الأولى بغداد.(42)

وفي بلاد المغرب حظيت المرأة بقدر من العلم والثقافة أشارت إليها كتب التاريخ وبخاصة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(43)، وهاهي المرأة الرستمية نصبت نفسها مدافعا عن المذهب الإباضي ومسؤولة على نشره وترسيخه وحملت على عاتقها أمانة المذهب الذي تواجد في وسط عدائي، مما فسح لها المجال لتعلمه والتفقه فيه لتتمكن من تنشئة الأجيال على هذا المذهب وترسيخه فيهم.(44)

ولأن الأئمة الرستميين كانوا من الأوائل المشتغلين بالجانب العلمي عملوا على توفير كل الظروف لنشره وجعلوا التعليم مجانيا(كان للأحرار كما العبيد الحق في التعليم)، أما النساء في الدولة الرستمية فقد عملن على تثقيف أنفسهن بأنفسهن وكن يحضرن مجالس العلم والأدبّ، حتى أنه خصصت لهن مجالس خاصة بهن ومن بين من خصص لهن مجلسا للتذاكر فيه أبو حسان الفرسطائي(45). وكانت منهن المدرسات اللائي نذرن أنفسهن لنشر العلم وترسيخ مبادئ المذهب الإباضي، ومنهن الغاية زوجة الفقيه أبي القاسم يزيد بن مخلد فقيه الحامة(46)، وكانت من أهل الصلاح والاجتهاد، واستقبلت أم يحيى النساء في بيتها لتعليمهن أمور دينهن(47)، وبيت أم الربيع الورورية كان مأوى

---

40 محمد ناصر الدين الألباني:صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، مكتبة الدليل، ط4، المملكة العربية السعودية، 1997م، ص 150.

41الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص19

42سامية مقري: المرجع السابق، ص17

4342بشير رمضان التليسي:الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلاميخلال القرن الربع الهجري/العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2003م، ص.400

4443فاطمة بلهواري:المرأة الإباضية وإسهاماتها في الحركة الثقافية لبلاد المغرب خلال العصر الوسيط، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، ع16، سنة2012م، ص.469

45البغطوري: المصدر السابق، ص63

46تاليةسعدو:الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها، عصور الحديدة، ع1، مخبر تاريخ الجزائر، وهران، 2011م، ص69

47البغطوري: المصدر السابق، ص ص52، 53

للأخيار وأموالها كانت لخدمة طلبة العلم(1)، أما بيت بهلولة فمثل مزارا للعلماء ومن بينهم أبو ذر ابن وسيم.(2)

وبما أن طلب العلم كان مهما جدا في حياة المرأة الإباضية فإنها قطعت مسافات طويلة لأجل ذلك، كما أنها لم تخف من ظلمة الليل فخرجت لطلب العلم حتى في اللّيل وحسبنا أم ماطوس التي كانت تتعلم عند أبي محمد حصينوتخرج لطلب العلم ليلا، وعرف عنها التدين والصلاح حتى قيل أنها صامت50سنة متتالية(3)، وأيضا أَمَة شهيرة بجبل نفوسة تعرف بغزالة أَمَة الواحد التي قصدت مجالس العلم في اللّيل،وأخذت العلم عن أبي محمد عبد الله بن الخير(4)، وكانت النسوة تصطحبن أطفالهن لمثل هذه المجالس وهو ما يعكس التزامهن بمسؤوليتهن تجاه أطفالهن(5)، وحتى الإماء كان لهن نصيب في التحصيل العلمي فهذه إحداهن قطعت مسافة طويلة من أجل حضور مجلس العلم(6)، وقطعت أخرى ما يزيد عن ستة أميال (حوالي 10كلم) لحضور مجلس امرأة إباضية عالمة وهذا إن دلّ على شيء فيدل على حرص العبيد على معرفة أمور دينهم.(7)

ولأن التحصيل العلمي كان ميزة فإننا نجد أن الرجال اتخذوا من بعض الجواري السود زوجات لهم لأنهن انشغلن بالعلم ومنهن غزالة الأمة السوداء(تم عتقها بسبب انشغالها بالعلم)(8)، كما وردت إشارة أخرى إلى أمة تعلقت بأحد رجالات الإباضية ويدعى ويدعى أبو محمد التغرميني التي"تعلقت به أن يعلمها توحيدها"(9)، واشتهر البيت الرستمي بالتنجيم فكان الإمام عبد الوهاب عارفا لهذا العلم.حتى أنه قال:"ما عاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم أين بات القمر"(10)، وكان يعقوب بن أفلح منجما(11)، وحتى

1نفس المصدر، ص42

2نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ص99

3البغطوري: المصدر السابق، ص69

4نفس المصدر، ص72

5فاطمة بلهواري: المرجع السابق، ص466

6عبد الإله بنمليح:الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2004م، ص123

7نفس المرجع، ص124

8فاطمة بلهواري: المرجع السابق، ص5

9الشماخي: المصدر السابق، ص168، 170

10الشماخي: المصدر السابق، ص162

11جودت عبد الكريم يوسف:الأوضاع الاقتصادية، ص311

أخته كانت عالمة بالحساب والفلك والتنجيم(1)، وقامت بعض النسوة بمساعدة العلماء في عملهم مثلما فعلت الفقيهة أخت عمروس بن فتح النفوسي(2) والتي لا يعلم لها اسم ولا كنية، لكنها عرفت بالعلم والتدين والعقل وقد أملت على أخيها كتاب المدونة لأبي غانم الخراساني فكتبها كلها.(3)

شاركت المرأة الإباضية الرجل في حضور مجالس الجدل والنقاش من حين لآخر، مثلما فعلت أخت الإمام أفلح عندما جلست مع أخيها ذات ليلة يتجادلان ويتحاوران في المباحث العلمية والفنون الأدبية ، وقد تفوقت عليه وكانت أدق منه في بعض التفاصيل(4)، ولأن المرأة الإباضية قد كلفت نفسها بنشر المذهب الإباضي وتمكينه في الأجيال، فإن جل المنشغلات في المجال الفكري تخصصن في العلوم النقلية وخاصة دراسة المذهب الإباضي ومنهن على سبيل الذكر لا الحصر العالمة مارن التي كانت مدركة لكل دقائق المذهب الإباضي في جبل نفوسة(5)، وأم حسون اللواتية(6)، وأخت عمروس قاضي نفوسة التي كانت عالمة فقيهة.(7)

وفي الأخير نقول أن المرأة الإباضية في سبيل التمكين للمذهب الإباضي بالمنطقة عملت على نشر العلم والفقه الإباضي بكل الطرق فقد جلست للتدريس في بيتها وتكبدت المشاق وذهبت إلى أعلام المذهب الإباضي في بيوتهم من أجل التفقه والتبحر في أمور الدين، كما أنها لم تبخل على غيرها من النساء من أجل التعلم،وكذلك لم تتأخر في مساعدة العلماء في كل ما يخدم العلم والمذهب الإباضي خاصة.

4- الدور الاقتصادي للمرأة في المجتمع الإباضي:

كان للمرأة الحق في الملكية والتصرف في أموالها بغير سفه مثلها في ذلك مثل الرجل، إذ تخبرنا المصادر التاريخية عن الثراء الفاحش لبعض السيدات في العالم

1الباروني: المصدر السابق، ج2، ص68

259عمروس بن فتح :صنفه الدرجيني في طبقاته أنه من علماء الطبق السادسة، كان له دور في الحفاظ على المذهب الإباضي وله مصنفات في الفروع والعقائد.انظر الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص320، .319

3نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ص99

4الشماخي: المصدر السابق

السابق، ص .107

5محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص114

6الوسياني: المصدر السابق، ص249

7الدرجيني: المصدر السابق، ص104

الإسلامي الوسيطي(1)، وبذلك فإنها لم تكن عالة على الرجل أبدا بل على العكس تماما فبالإضافة إلى قيامها بالأعمال المنزلية كانت تقوم ببعض الأعمال اليدوية(2)، واشتهرت تيهرت بحرفي النسيج والكتان والحرير والخز فطبقت شهرتها الآفاق(3)، وهذا بسبب توفر خام الصوف والكتان من المراعي والمزارع(4)، ومن هنا تفننت المرأة الرستمية في صناعة المنسوجات المتعددة الألوان ، وكان اليهود هم من يتولى صناعة الأصباغ.(5)

إن المرأة في الطبقة العامة كانت تكابد شظف العيش وتحاول جاهدة المساهمة في الحصول على قوت عائلتها فأثبتت وجودها في النشاط الفلاحي والحرفي إلى جانب الرجل،وقد احترفت الحرائر صناعة النسيج واشتغلت بها أيضا الإماء والخدم، إذ أشارت المصادر إلى أن أم الخطاب كان لها ثلاثة عشر جارية ينسجن لها(6)، ويشير الشماخي إلى الاهتمام الكبير الذي أولته النساء لهذه الحرفة(7)، وأنها من اختصاص البربر منذ القدم(8)، وشكلت المنسوجات الصوفية والقطنية والكتاني والعمائم والمآزر والأواني الزجاجية(9) من أكثر أعمال المرأة في جبل نفوسة،ورخص لها الفقهاء في ذلك نظرا لتناسب هذه الصناعة مع طبيعتها(10)، كما توجد إشارة عند البغطوري إلى العمل الجماعي لنساء الجبل في أنوال مشتركة وهي إشارة إلى وجود محلات للنسيج مخصصة للنساء، كما أنهن كن يجتمعن في أحد البيوت للقيام بعمل جماعي في صناعة الصوف وغزله ونسجه(11)، لذا اشتهر الجبل بإنتاج الأكسية والملابس الصوفية(12)، وشكلت

1إبراهيم حركات:المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق، بيروت، المغرب، 1998م، ص62

2جودت عبد الكريم يوسف:الأوضاع الاقتصادية، ص318

3ابن حوقل:المسالك والممالك صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، 1979م، ص177

4محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1985م، ص206

5إبراهيم بحاز:المرجع السابق، ص158

6ابن حوقل: المصدر السابق، ص177

7الشماخي: المصدر السابق، ص241

8إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص.94

9السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير-العصر الإسلامي، دار النهضة العربي، بيروت، لبنان، 1981م، ص.573

10البغطوري: المصدر السابق، ص47

1176صالح معيوف مفتاح:جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستميةمن منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2006م، ص48

1277 اليعقوبي احمد بن يعقوب: البلدان، دار الكتب العلمية، 2002م، ص28.

هذه الأخيرة أهم صادرات الدولة الرستمية إذ كانت القوافل تتنقل ذهابا وإيابا حاملة إلى بلاد السودان هذه السلع الرستمية التي طبقت شهرتها الآفاق(1)، وكانت المرأة الريفية تخرج لمساعدة زوجها فشاركته خدمة الأرض وفلاحتها فزوجة الفقيه المهدي النفوسي حملت التراب على رأسها لمساعدة زوجها في إصلاح الجسور، وتوجد إشارات عند بعض المؤرخين عن خروج الجواري للاحتطاب .(2)

الخاتمة:

من خلال ما رصدناه في هذا المقال عن دور ومكانة المرأة في مجتمع المغرب الأوسط على العهد الرستمي، فإننا لمسنا حضورها في جل الميادين، وعلى رأسها المجال الفكري الذي كان للمرأة الرستمية مشاركة مميزة ومتفردة فيه، إذ برزت الكثير من العالمات المتبحرات اللائي أخذن علومهن عن مشائخ المذهب الإباضي، وجلسن للتدريس والتعليم من أجل نشر وترسيخ المذهب الإباضي، كما أسهمن في الحياة الاقتصادية فكانت من بينهن من تغزل الصوف ومن تعمل في النسيج وحتى الفلاحة، وافتكت بذلك المرأة الإباضية مكانتها الاجتماعية المرموقة لما قدمته لمجتمعها من اعمال جليلة خلدت ذكر الدولة الرستمية ورسخت المذهب الاباضي بالمنطقة الى يومنا هذا، ولعل التزام الرستميين بالمذهب الإباضي في أدق تفاصيله قد جعل بعض حيثيات الحياة الاجتماعية وما يتعلق بالمرأة مقيدا بما تمليه تفاصيل المذهب إضافة إلى ما يقره العرف ولم يكن ظلما ولا انتقاصا لشأنها وقيمتها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر:

_الباروني سليمان باشا:الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، لندن، ط1، 2005م.

_البغطوري المقرين بن محمد: سيرة مشائخ نفوسة، تح توفيق عباد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2009م.

_ابن حوقل: المسالك والممالك (صورة الأرض)، منشورات دار مكتبة الحياة، 1979م.

_الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد: طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت ط.

_الشماخي احمد بن سعيد بن عبد الواحد:كتاب السير، تحقيق احمد بن سعود السيابي، ج1-2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2 ، 1992م .

_ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر، إبراهيم بحاز، د ط، د ت ط.

1الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص.65

2الوسياني: المصدر السابق، ص 92.

_ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج س كولان، إ ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت ط.
_الوسياني أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان سير:سير مشائخ المغرب، تحقيق ودراسة عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 2009م.
_اليعقوبي احمد بن يعقوب: البلدان، دار الكتب العلمية، 2002م.

المراجع:

_بن أحمد الشيخ بالحاج قاسم: معالم النهضة الإباضية (ه1157-1744م)(1382ه-1962م)، نشر جمعية التراث بغرداية، الجزائر، ط1، 2011م.
_الألباني محمد ناصر الدين: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية، ط4، 1997م.
_بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية نشر جمعية الغرارة الجزائر.
_بشر عبد الرحمان:المرأة المغربية في نوازل أبي القاسم البرزلي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2015م.
_ بنمليح عبد الإله:الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2004م
_ بوركبة محمد: الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296ه/777-909م)، دار الكفاية، الجزائر.
_ التليسي بشير رمضان: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي(خلال القرن الربع الهجري/العاشر الميلادي)، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط1، 2003م.
_ جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت ط.
_العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
_حركات إبراهيم: المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، إفريقيا الشرق، بيروت، المغرب، 1998م.
_ الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160ه-296ه)، دار القلم ، الكويت، ط3، 1987م.
_ عبد الحميد شافع راوية: المرأة في المجتمع الأندلسي،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط2005،1م.
_ دندش عبد اللطيف عصمت: المرأة بين التراث والمعاصرة،قضايا وبحوث، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2009م.
_ سالم السيد عبد العزيز:المغرب الكبير-العصر الإسلامي، دار النهضة العربي، بيروت، لبنان، 1981م.
_ كركر حرم الهيلة عصمت الدين: المرأة من خلال الآيات القرآنية، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د ط.

ـ بن عبد الله عبد العزيز: المرأة المراكشية في الحقل الفكري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، مج6، ع1-2، 1956م.
ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1985م
ـمحمود حسن أحمد: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1956م
ـ محمود خالد حسين: الرقيق والحياة الاجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
ـالمرزوق عماد: مكانة المرأة في التراث السياسي بالغرب الإسلامي وبعض مظاهر الإبداع النسائي خلال الحقبتين المرابطية والموحدية، المرأة في الغرب الإسلامي (الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة)، تنسيق وتقديم عبد الباسط المستعين، منشوراتإفريقيا الشرق، 2016م.
ـمعيوف مفتاح صالح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية(من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري)، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2006م،

قائمة المجلات:
ـ بلهواري فاطمة، المرأة الإباضية واسفي الحركة الثقافية لبلاد المغرب خلال العصر الوسيط، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، ع16، 2012م.
ـ سعدو تالية: الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها، عصور الجديدة، ع1، مخبر تاريخ الجزائر، وهران، 2011م.
ـعبد الشكور نبيلة: المرأة في الاسطوغرافيا الاباضية، مجلة التراث، مخبر دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، العدد12، 2014م
ـ القاضي وداد: ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، ع45، محرم1395هـ /ماي1977م.

قائمة رسائل الماجستير والدكتوراه:

ـمقري سامية: التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزّابة (296-409هـ909-1018م)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، السنة الدراسية 2005-5006م.
ـمطهري فطيمة: مدينة تيهرت الرستمية-دراسة تاريخية حضارية(ق2-3هـ)(8-9م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2009-2010م.
ـمحمد علي عاشور حنان: دورالمرأة في المجتمع الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة المرقب، ليبيا، السنة الدراسية2007-2008م.
ـمنصور عبد الحفيظ: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الإمارة الرستمية،رسالة ماجستير،جامعة قسنطينة ، 1984م

مراجع أجنبية

-golvin lucion :le Maghreb central a lepoque de zirides, paris,1957.